(تتمة الافتتاحية المنشورة ص ١)

ولكنْ بالمقابل (كما يقول فيصل القاسم) يبدو «الديموقراطيّ» محقّاً في أن يرى في مبالغة زميله «القوميّ» في التركيز على أولوية الصراع ضدّ أميركا عودةً جديدةً إلى الشعار القديم الباهت: «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة» (رغم أنّ الأوّل، كما أشرنا أعلاه، يتبنّى هذا الشعارَ عينَه في ما يخصّ الصراعَ الفلسطينيّ ـ الإسرائيليّ!). وهو أيضاً مصيب في أن يَردّ جزءاً كبيراً من مأساة الشعب العراقيّ منذ عقود إلى سياسات النظام العراقيّ، من قمعٍ وقتلٍ وقصفٍ وتعذيبٍ ونفيٍ وغزوٍ لأراضي جيرانه وعنادٍ دونكيشوتيّ إزاء الإملاءات الأميركية (يتلوه امتثالٌ مُطْلق لها... ولكنْ بعد فوات الأوان). و«الديموقراطيّ» محقٌّ جدّاً في أن يشدِّد على العلاقة الوثيقة التي سَبَقَ أن ربطتْ نظامَ الرئيس العراقيّ بالولايات المتحدة وبالشركات الأميركية حين كان «الفُرْسُ» هم الأعداءَ و«عربُ نجد» هم الحلفاءَ (تُرى ألم تأتِ معظمُ أسلحة الدمار الشامل العراقية، الحقيقية والمزعومة، من أميركا نفسها؟). وأخيراً، ألا يحقّ لأقطاب اليسار الديموقراطيّ أن يتقزَّزوا ممّا يُشاع (أو يُشيعونه) عن إثراءِ بعض «القوميين» من مالِ الشعب العراقيّ الجائعِ والمحاصَر؟

الساحة الثقافية اليسارية، إذن، في حيص بيص. أَوَيُمْكن إلاّ أن نَشْعر جميعُنا بالحيرة والاضطراب؟ مستحيل، وبخاصةٍ بعد أن استغلّ بعضُ أعضاء الفريقيْن المسألةَ العراقية لتصفيةِ حساباتٍ قديمة (بعضُها يعود إلى خلافاتهم داخل الأحزاب التي جَمَعتهم يوماً). ولكنّ أساس تلك الحيرة وذلك الاضطراب يعود إلى أنّ الرئيس العراقيّ نفسَه لم يَتْركْ أمام المثقفين والمناضلين اليساريين («قوميّين» أو «ديموقراطيين») فرصةً لأن يَمْشوا خلفَ رايته، رغم رفضهم أن يَمْشوا خلف راية أعدائه.

ومع ذلك، ومع ذلك... فإنّ هذه الحرب ليست ضدّ النظام العراقيّ، كما تَعْلمان أيُّها الفريقان العزيزان! إنّها ضدّ العراق: ضدّ شعبه، وعلمائه، وجيشه، وشعرائه؛ ضدّ أكراده، وشيعته، وسنّته، وآشوريّيه، وقوميّيه، وشيوعيّيه. وهي حربٌ ضدّ لبنان، والمقاومة، والانتفاضة، وسورية، وإيران... بل ضدّ الكويت والسعودية ومصر. إنّها حربٌ لن يستفيد منها إلاّ «إسرائيل» وبعضُ النُّخَب المتواطئة في الوطن العربيّ.

سيَرْحل النظامُ العراقيّ، عاجلاً أم آجلاً. وسيأتي نظامٌ أسوأ، يَقْمع الناسَ باسم «ضرورات المرحلة» و«حاجات السلام.» وسيَبْقى الأيتامُ، والمشوَّهون، والأرضُ الخراب. وعلى جثثِ مئاتِ الآلاف من العراقيين الأبرياء سيستعدّ الجنودُ الأميركيون، وحلفاؤهم الصغار، لغزوٍ جديد.

سماح إدريس

بيروت

لائحة ثانية من المثقفين الموقّعين على البيان (انظر الغلافَ الأخير) حتى ظهر ٢٠٠٣/٣/١٩:

د. ماهر جرّار، مهنّد أبو الحسن، دايفيد بَرْسَميان، عمر برغوثي، أحمد أبو حسين، موسى حوامدة، ريم نويري، خالد بركات، نعيم عبد الوهّاب، عرب لُطفي، د. عبد الفتّاح يغمور، محمد نجاتي طيّارة، أمير مخّول، رضوان القضماني...